العقم في ضوء القرآن الكريم أسبابه وطرق علاجه

أ.فاطمة علي صالح دخيل* - كلية الدراسات الإسلامية - سبها ـ الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية
البريد الالكتروني:fifthalon@gmail.com

Causes and Methods of treatment of Infertility in the light of the Holy Quran

Fatima A. Dakhil* - College of Islamic Studies - Sabha - Al-Asmariya University for Islamic Sciences

Abstract
This study addresses causes and methods of treatment of infertility through the verses of the Quran. It explained the causes and wisdom behind infertility, and reviewed the Qur'anic means of treatment such as supplication and reliance on God. The study emphasizes the importance of combining the spiritual aspect with taking practical measures, alongside faith in God's wisdom and decree.
Key words: Infertility, treatment, Holy Quran, the verses

الملخـــــــص:

يعرض هذا البحث موضـوع علاج العقم من خلال آيات القرآن الكريم، موضـحًا أسباب العقم وحكمته، ومستعرضًا الوسائل القرآنية للعلاج مثل الدعاء والتوكل على الله. يؤكد البحث على أهمية الجمع بين الجانب الروحي والأخذ بالأسـباب مع الإيمان بحكمة الله وقدره.

الكلمات المفتاحية:
العقم، القرآن الكريم، أنواع العقم، أسباب العقم، قصص الأنبياء، العلاج القرآني

المقدمة:

يُعد العقم من القضـايا التي يعاني منها بعض الناس في حياتهم، وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه المشـكلة من خلال قصـص بعض الأنبياء الذين تأخر إنجابهم لفترات طويلة مثل إبراهيم وزكريا عليهما السـلام. ويُظهر القرآن كيف ربط بين الأسـباب الطبيعية والدعاء والصـبر في علاج هذه الحالة وتجاوزها. ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على مفهوم العقم في القرآن الكريم، ويوضح أسبابه، ويبين كيف تناول القرآن هذه المسألة ووجّه الإنسان إلى التعامل معها بالصبر والدعاء والأخذ بالأسباب

المشروعة، من خلال دراسة موضوعية تجمع الآيات وتربط معانيها وتستنبط الدروس منها.

إشكالية البحث:

يُعاني كثير من الأزواج من مشكلة العقم التي تؤثر على حياتهم النفسية والاجتماعية، وقد تناول القرآن الكريم هذه القضية من خلال قصص عديدة تجمع بين البعد الإيماني والأسباب الطبيعية. لكن يبقى التساؤل: ما مفهوم العقم في القرآن الكريم؟ وكيف عالج القرآن الكريم موضوع العقم؟ وما الدلالات التي يمكن استنباطها حول أسبابه وسبل علاجه؟

أهداف البحث:

هدف هذا البحث هو فهم مشكلة العقم كما وردت في القرآن الكريم، والتعرف على أسبابه وكيفية علاجه من خلال النصوص القرآنية. كما نسعى إلى توضيح كيف يمكن للدعاء والصبر والأخذ بالأسباب أن تساعد في تجاوز هذه المشكلة.

أهمية البحث:

يُعتبر العقم مشكلة تؤثر على حياة الكثيرين، وتتسبب في حزن وتوتر داخل الأسرة. ومن خلال دراسة القرآن الكريم، نستطيع أن نجد الحلول الروحية والنفسية التي تساعد في مواجهة هذه المشكلة. لذا فإن هذا البحث مهم لأنه يربط بين الدين والحياة العملية، ويعطي الأمل لكل من يعاني من العقم.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن العقم، وتحليل معانيها ودلالاتها بشكل موضوعي. كما سنربط بين هذه الآيات وواقع حياة الناس، لنفهم كيف يمكن تطبيقها في العلاج والوقاية.

سبب اختيار البحث:

اخترت هذا الموضوع لأن مشكلة العقم تمس حياة كثير من الأزواج وتؤثر عليهم نفسيًا واجتماعيًا، ولأن لي تجربة شخصية مع العقم جعلتني أبحث فيه بعمق. وقد وجدت أن القرآن الكريم تناول هذه القضية برؤية إيمانية تُعلمنا الصبر والدعاء والأخذ بالأسباب، وهذا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع وربطه بتجربتي الخاصة.

الخطة:

قسمت الباحثة هذه الخطة إلى ثلاثة مباحث، يضم كل مبحث ثلاثة مطالب لتغطية الجوانب الأساسية للموضوع.

المبحث الأول: مفهوم العقم وأنواعه في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: أسباب العقم
المبحث الثالث: علاج العقم في القرآن الكريم،

المبحث الأول ـ مفهوم العقم وأنواعه في القرآن الكريم

المطلب الأول ـ تعريف العقم لغة واصطلاحا:

الأَوْلادُ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى، فَهُمْ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَرْزُقُهُمُ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ يَمْنَعُهُمْ عَنْ آخَرِينَ لِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا وَابْتِلَاءٍ يَخْتَبِرُ بِهِ صَبْرَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ. وَفِي هذَا المَطْلَبِ، سَأَتَنَاوَلُ مَعْنَى العُقْمِ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلاحِ تَمْهِيدًا لِمَا سَيَتَنَاوَلُهُ هذَا المطلب.

أَوَّلًا ــ العُقْمُ فِي اللُّغَةِ : يُطْلَقُ العُقْمُ فِي اللُّغَةِ عَلَى انْقِطَاعِ الذُّرِّيَّةِ؛ فَيُقَالُ: عَقُمَتِ المَرْأَةُ إِذَا لَمْ تَلِدْ، وَعَقُمَتِ الأَرْضُ إِذَا لَمْ تُثْمِرْ [1] وَيطلق أيضا على مالا يرجي منه نفع أو فايدة كَمَا في قَوْلِه تعالي: «وأرسلنا عليهم الريح العقيم» الذاريات الآية 41،أَيْ : ريحا لَا تُلْقِح الشجر ولاتأتي بسحاب ولا مطر [2]، وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا المَنْعُ فَيُقَالُ: عَقُمَتِ المَرْأَةُ عُقْمًا إِذَا مُنِعَتْ الوَلَدَ، وَعَقُمَ الرَّجُلُ إِذَا انْقَطَعَ نَسْلُهُ [3].

ثَانِيًا ـ العُقْمُ فِي الاصْطِلاحِ: يُعَرَّفُ العُقْمُ فِي الاصْطِلاحِ بِأَنَّهُ عَدَمُ القُدْرَةِ عَلَى الإِنْجَابِ من أحد الزوجين أو كليهما بَعْدَ مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ مُعْتَبَرَةٍ مِنَ الزَّوَاجِ دُونَ اسْتِعْمَالِ وَسَائِلَ مَنْعِ الحَمْلِ [4].

كما يُعَرَّفُ العُقْمُ فِي بَعْضِ المُصْطَلَحَاتِ الطِّبِّيَّةِ بِأَنَّهُ: عَدَمُ وُقُوعِ الحَمْلِ بَعْدَ مُرُورِ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّوَاجِ مَعَ مُمَارَسَةِ العِشْرَةِ الطَّبِيعِيَّةِ بِانْتِظَامٍ [5].

المطلب الثانـــي ـ مفهوم العقم في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم موضوع العقم في سياقات متعدّدة؛ فتارةً جاء بصيغة الامتنان الإلهي على من رُزق بالولد بعد طول عقمٍ، وتارةً أخرى جاء في إطار بيان القدرة الإلهية المطلقة في خلق الذرية أو منعها لحكمةٍ يعلمها الله سبحانه وتعالى. وقد وردت ألفاظ العقم ومشتقّاته في مواضع تُعبّر عن انقطاع الولادة أو فقدان القدرة على الإنجاب، سواء للرجل أو المرأة.

ومن أبرز الآيات التي تضمّنت هذا المفهوم:

قال ـ تعالى ـ على لسان زكريا ـ عليه السلام- : ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا • وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا**﴾ (مريم: 4-5) وفي هذه الآية عبّر زكريا عن حال زوجته بلفظ «عاقر»، أي التي لا تلد [6] ، وقال تعالى أيضًا: ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ (الشورى:

49-50) ، وهي من أوضح الآيات في بيان أن العقم من تدبير الله لحكمةٍ قد يُظهرها أو يُخفيها [7]. كما ورد لفظ «عقيم» بمعنى آخـــر، وهو وصف الريح المهلكة: ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ**﴾ (الذاريات: 41) أي: الريح التي لا تحمل خيرًا، ولا تلقّح سحابًا، ولا تأتي بمطر، بل تحمل الهلاك والدمار، وهو استعمال بلاغي يُقصد به نفي الفائدة أو النفع [8] وبذلك يتّضح أن مفهوم العقم في القرآن الكريم يشمل:

1. الانقطاع عن الإنجاب، كما في وصف المرأة بـعاقر
2. كونه حالة بتقدير الله تعالى لحكمةٍ يعلمها أو يخفيها
3. أنّه ليس قدحًا في كرامة الإنسان، بل قد يكون ابتلاءً ورفعًا للدرجات
4. استعماله في سياقات أخرى كصفة للريح، بمعنى انعدام الخير والنفع

المطلب الثالث: أنواع العقم في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم موضوع العقم في مواضع متعددة، ويمكن تقسيم العقم – بالاستناد إلى الآيات الكريمة وأقوال المفسرين – إلى نوعين رئيسين:

أولًا ــ العقم المؤقــت: وهو العقم الذي يكون لسبب عارض مثل الكِبر أو ضعف البدن أو مرض يزول بقدرة الله تعالى. ومن أمثلته ما ورد في قصـة زكريا عليه السلام حين قال: ﴿**وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾ [مريم: 5]، فاسـتجاب الله له ورزقه بيحيى عليه السلام: ﴿**يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ**﴾ [مريم: 7]. وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام حين قالت زوجته متعجبة: ﴿**أَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا**﴾، فقيل لها: ﴿**قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾ [هود: 72–73]. وقد فسّر القرطبي هذا الموضع بأن العاقر هي التي لا تلد عادةً، لكن الله تعالى يخرق الأسباب متى شاء [9].

ثانيًا ـــــــ العقم الدائم ـ بحسب الظاهر-: ويقصد به من لا يولد له بحسب الأسباب الظاهرة، كما قال ـ تعالى- : ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى: 49–50]. وقد فسّـر بعض المفسـرين هذه الآية بأن العقم هنا هو انقطاع الرجاء في الولد من جهة الأسباب، مع بقاء قدرة الله تعالى المطلقة [10]. وكذلك بيّن ابن عاشـــور أن هذه القدرة الإلهية تشمل خرق الأسباب متى شاء الله [11].

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن وصـــف «العقم الدائم» ليس معناه اســـتحالة مطلقة، وإنما هو اصـطلاح بشـري يعتمد على الأسـباب الظاهرة، بينما قدرة الله تعالى فوق كل تقدير، لقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: 20].

المبحث الثانـــي ـ أسباب العقم:

المطلب الأول ـ الأسباب الطبية والعضوية

يُقصد بالأسباب الطبية والعضوية تلك الأسباب المادية المحسوسة التي تتعلق بتركيب جسم الإنسان أو حالته الصحية. وقد أشار القرآن الكريم إلى نماذج من ذلك في قصص بعض الأنبياء، حيث يكون العقم بسبب تقدُّم العمر، أو بكون المرأة عاقرًا بطبيعتها، أو بضعف قدرة الرجل على الإنجاب بسبب الشيخوخة أو الأمراض.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في قصة نبي الله زكريا عليه السلام، إذ قال لربه: ﴿**وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾ [مريم: 5]. فهذه الآية الكريمة تبيّن بوضوح أن العقم له أسباب ظاهرة تتعلق بضعف الجسد أو شيخوخة الرجل أو عقم المرأة الخِلقي [12]. ومثله ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام حين بشّرته الملائكة بإسحاق عليه السلام، فتعجبت زوجته وقالت: ﴿**أَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا**﴾ [هود: 72]. فهنا يظهر أن العقم المؤقت أو الظاهر قد يكون سببه التقدُّم في السن وضعف القدرة الجسدية على الحمل والإنجاب [13]. وقد فسّر الطبري هذه المواضع بأن العقم هنا مرتبط بسبب خلقي أو مرضي، وأن المعنى أنّ الله تعالى يخرق الأسباب لمن يشاء، فيجعل من لا تلد قادرةً على الحمل بقدرته ومشيئته [14]. وبيّن ابن كثير أيضًا أن تقدّم السن وضعف البدن من أهم أسباب العقم المعروفة عند الناس [15].

ومن الناحية الطبية الحديثة، يؤكد الأطباء أن هناك أسبابًا عضوية معروفة للعقم لدى الرجال والنساء، مثل العيوب الخلقية في الأعضاء التناسلية، أو انسداد قنوات الإنجاب، أو الأمراض المزمنة، أو ضعف الخصوبة بسبب التقدّم في السن. ولهذا فإن الإسلام يدعو إلى التداوي والأخذ بالأسباب، مع الإيمان التام بأن الشفاء بيد الله وحده، كما قال عز وجل: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: 80] [16].

ويمكن القول إن القرآن الكريم حين أشار إلى هذه الأسباب لم يكن هدفه حصرها طبيًّا فقط، بل تأكيد أن الإنسان مطالب بالسعي في العلاج، مع اليقين بأن المسبب الحقيقي هو الله تعالى، وأنه وحده القادر على إزالة المانع متى شاء.

المطلب الثاني ـ الأسباب النفسية:

إلى جانب الأسباب الطبية والعضوية، يُعدّ الجانب النفسي من المؤثرات الخفية التي تؤثر في القدرة الإنجابية لدى الزوجين، وقد أشار عدد من المختصين إلى أن الحالة النفسية تلعب دورًا كبيرًا في الصحة الإنجابية عمومًا، كما أن الضغوط النفسية، والتوتر، والقلق المزمن، قد يكون لها أثر في اضطراب بعض الوظائف الفسيولوجية في الجسم،

مثل اضطرابات الدورة الشهرية لدى النساء، أو ضعف الانتصاب لدى الرجال، أو ضعف الخصوبة عمومًا.

وقد أشار بعض المفسرين إلى أثر الحالة النفسية في قصص الأنبياء، كما في قول زكريا - عليه السلام- : ﴿**وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا**﴾ [مريم: 5]، فقد حملت هذه الآية في طيّاتها بعدًا نفسيًا من حيث قلق النبي زكريا عليه السلام من انقطاع الذرية وانعدام الامتداد البشري بعده، مما دفعه إلى الدعاء والتضرّع، وهو ما يدل على أهمية العامل النفسي في مواجهة العقم واللجوء إلى الله تعالى [17]. وفي قصة مريم عليها السلام، نلحظ أثر الضغط النفسي في قولها: ﴿**يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**﴾ [مريم: 23]، وإن لم تكن هذه الآية مرتبطة بالعقم، إلا أنها تعبّر عن حالة نفسية حرجة صاحبت ظرفًا استثنائيًا في الحمل، مما يؤكد أهمية التوازن النفسي في هذه القضايا الحساسة المرتبطة بالإنجاب [18].

ومن منظور علم النفس الحديث، تشير الدراسات إلى أن الضغوط النفسية قد تؤثر على هرمونات الخصوبة، وتُحدث خللًا في نظام الغدد الصماء، كما أن بعض النساء قد يتعرضن لما يُعرف بـ "العقم النفسي"، وهو عدم القدرة على الإنجاب رغم سلامة الوظائف العضوية، ويكون سببه غالبًا توترًا دائمًا، أو خوفًا لا واعيًا من الحمل، أو صدمات نفسية في الطفولة أو المراهقة [19].

كما بيّنت الدراسات أن نسبة من حالات العقم التي لا تُفسر عضويًا لدى الأطباء، تعود في بعض الأحيان إلى عوامل نفسية بحتة، مما جعل كثيرًا من مراكز علاج العقم تُدرج الدعم النفسي كجزء أساسي من مراحل العلاج [20].

وفي ضوء ما سبق، يتضح أن العامل النفسي يجب ألا يُستهان به، وأن الإيمان بقضاء الله وقدره، والصبر، والرضا، واليقين بقدرة الله على التغيير، كلها تُسهم في تعزيز الجانب النفسي، وتُخفف من أثر الصدمات، وتُعين على تقبّل الواقع، والسعي المتزن في العلاج

المطلب الثالث ـ الأسباب الإلهية للعقم:

من أعظم ما يجب أن يدركه المؤمن في قضايا الإنجاب والعقم أن هذا الأمر لا يخرج عن إرادة الله تعالى ومشيئته المطلقة. فالله ـ سبحانه ـ هو الذي يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يجمع لهم بينهما، ويجعل من يشاء عقيمًا، كما قال تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى: 49–50]. فالآية الكريمة تؤكد أن العقم ليس دائمًا نتيجة سبب عضوي أو نفسي، بل قد

يكون في الأصل قضاءً إلهيًّا لا مردّ له، لحكمة يعلمها الله، وابتلاءً يختبر به عباده في مدى رضاهم وتسليمهم. وقد فسّر الإمام الطبري قوله - تعالى- : ﴿**وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا**﴾، أي: لا يولد له، لا من علّة فيه، ولكن لأن الله لم يشأ له الولد [21]. وهو معنى دقيق للغاية؛ إذ يبيّن أن العقم قد يكون ابتلاءً محضًا من الله تعالى دون أسباب ظاهرة. وقد أشار بعض المفسرين، إلى أن الآيات تبيّن أن الهبة لا تُنال بالسعي وحده، بل بتقدير الله سبحانه، فمن الناس من يُحرم من الذرية مع شدة الشوق إليها، ومنهم من يُعطى الذرية مع عدم الاستعداد لتحملها، وكلٌّ في علم الله وحكمته [22]. وقد ورد في بعض كتب التفسير أن الله يقسم أحوال خلقه بحسب حكمته، وبيّن أن جعْل العقم ليس نقصًا في كمال الخلق، بل هو من تمام التدبير والإحاطة بالخلق؛ لأن لكل إنسان دورًا وحكمة في الحياة قد لا تتعلق بالإنجاب [23]. ومن هذا الباب، فإن على العبد أن يستحضر أن الحرمان من الذرية قد يكون فيه لطف خفيّ، ورحمة خفية، وأن الله الذي حبس عنه الولد قادر في أي لحظة أن يمنّ عليه به، كما قال في دعاء زكريا: ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾ [الأنبياء: 89]، فجاء الجواب الإلهي فورًا:
﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**﴾ [الأنبياء: 90]. وهذا يدل على أن الابتلاء بالعقم قد يكون مقدّمة لعطاء أعظم بعد اللجوء إلى الله والافتقار إليه. ومن ثم، فإن العقم من الناحية الإيمانية ليس عجزًا دائمًا، ولا قهرًا، بل هو امتحان، يُمكن أن يكون بابًا لرضا الله وقربه، أو طريقًا لعطاء يتأخر لحكمة، أو يُستبدل بنعمة أخرى لا يدركها العبد في حينها

المبحث الثالث ـ عِلاجُ العُقْــمِ فِي القُرْآنِ الكَرِيم:

المطلب الأوّل ـ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ:

لقد جاء القرآن الكريم هاديًا للناس في شؤون حياتهم كلِّها، مرشدًا لهم إلى أسباب الخير والنجاة في الدنيا والآخرة، ومبيّنًا لهم سُبُل التداوي من الأسقام الظاهرة والباطنة، ومن جملة ما تناوله القرآن موضوع العقم، حيث لم يتركه بلا توجيهٍ أو علاج، بل دلَّ المؤمنين إلى أن خير سبيلٍ لعلاج هذا الابتلاء هو التوجّه الصادق إلى الله تعالى بالدعاء، مقرونًا بحُسن الظن به والثقة بقدرته المطلقة على كل شيء [24].

إن الدعاء من أعظم الأسباب التي ينبغي أن يتمسّك بها من حُرِم الذرية، إذ يُظهر العبد من خلاله خضوعه وتذلّله بين يدي ربّه، واعترافه بأن الأمر كلّه بيد الله وحده لا شريك له، وأنه القادر على قلب الأحوال وتغيير الأقدار كيفما شاء. وقد قصّ القرآن الكريم على المؤمنين نماذج حيّة لأنبياء عظام ابتُلوا بالعقم، فلم يكن لهم من ملجأ إلا ربّهم، فتوجّهوا إليه بالدعاء الصادق والابتهال الدائم، فجاءهم الفرج من حيث لا يحتسبون [25].

ومن أبرز هذه النماذج نبيّ الله زكريّا عليه السلام، الذي بلغ من الكِبر عتيًّا، واشتعل رأسه شيبًا، وامرأته كانت عاقرًا، ومع ذلك لم يفقد الأمل ولم ييأس من رحمة ربّه، بل رفع يديه بالدعاء، ملحًّا مستعينًا بربّه أن يهبه من لدنه وليًّا يرثه ويرث من آل يعقوب، فاستجاب الله دعاءه ووهب له يحيى عليه السلام. وهكذا أراد الله أن يعلّم عباده أن الدعاء بابٌ عظيم لا يُغلق أبدًا أمام من طرقه بصدق وإيمان [26].

وإذا تأمّلنا في هذا الهدي القرآني، نجد أن الدعاء ليس مجرّد كلمات تُقال، بل هو عبادة عظيمة تتطلب إخلاص النيّة، واليقين الجازم بأن الله يسمع ويرى ويقدر، ويتطلّب من الداعي أن يتحرّى مواطن الإجابة، وأن يكثر من الدعاء في السَّرّاء والضَّراء، ويجمع إليه ما استطاع من أعمال البرّ والطاعات التي تكون سببًا في رفع البلاء وقبول الدعاء [27].

كما أن الاستعانة بالله لا تقتصر على الدعاء وحده، بل تشمل كذلك الاستغفار، والتوبة، وكثرة التقرّب إلى الله بألوان العبادات، مما يزيد في أسباب الرزق ويفتح أبواب الفرج، فقد ربط القرآن الكريم بين الاستغفار وسعة الرزق ونعمة الأبناء، قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح: 10–13]، ففي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الاستغفار وتوقير الله حق توقيره سببٌ لجلب النعم ودفع النقم، وأيُّ رزقٍ أعظم من رزق الولد الذي تقرّ به العين وتسكن به النفس [28].

وخلاصة القول: إن الدعاء والاستعانة بالله تعالى يُمثّلان الأساس المتين في علاج العقم كما أرشد إليه القرآن الكريم، إذ لا شافي إلا الله، ولا معطي إلا هو، ولا رادّ لقضائه إلا هو سبحانه وتعالى، ومن أيقن بذلك وعمل بما أمره الله، فلن يضيع أمله، ولن يخاب رجاؤه، وسيكون له من الله فرجٌ ومخرجٌ متى شاء وكيف شاء، وما ذلك على الله بعزيز [29].

المطلب الثَّاني ـ نَمَاذِجُ مِنْ قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ العُقْمِ:

لقد ساق القرآن الكريم قصصَ عددٍ من الأنبياء الكرام الذين ابتُلوا بعدم الإنجاب لسنواتٍ طويلة، فكانت هذه القصص أنموذجًا عمليًا يُعلّم المؤمنين معنى الصبر وحسن التوكل على الله تعالى، ويغرس في النفوس أن العُقم مهما طال فإن الله قادرٌ على رفعه متى شاء وبالكيفية التي يشاء، وأن الأمل لا ينبغي أن ينقطع ما دام القلب معلقًا بربّ العزة والجلال.

ومن أظهر النماذج في هذا الباب قصة نبي الله زكريّا عليه السلام، الذي ذكره الله في مواضع عدّة من القرآن الكريم، حيث دعا ربّه دعاءً خاشعًا وهو يبيّن حاله وضعفه وكِبر

سنّه وعقم زوجته، فقال: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾، فلم يكن حرمانه من الولد دافعًا له لليأس والقنوط، بل دعا ربّه سرًّا وعلانيةً، مُظهِرًا افتقاره وشدة حاجته، فجاءته البشرى الإلهية بميلاد يحيى عليه السلام على خلاف الأسباب الظاهرة، ليكون ذلك برهانًا للمؤمنين على أن قدرة الله لا تحدّها الأسباب [30].

وكذلك تأتي قصة إبراهيم عليه السلام مثالًا آخر للعقم الذي تداركه الله بقدرته، فقد تقدّم به العمر وامرأته سارة كانت عاقرًا طيلة حياتها، حتى بشّره الله تعالى بالولد على كِبَر، فاستغربت زوجته وقالت: ﴿**يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا**﴾، لكن الله -عز وجل- جعل ذلك آيةً لقدرة القادر سبحانه وتعالى، فولدت إسحاق عليه السلام، ثم يعقوب من بعده، ليبقى في قصتهما أبلغ دليل على أنّ الأمر كلّه بيد الله، وأن رحمته إذا أرادت شيئًا كانت الأسباب مهما بدت مستحيلة [31].

وهكذا ضرب القرآن الكريم أروع الأمثلة في قصص هؤلاء الأنبياء الذين لم يغيّر العقم يقينهم ولم يضعف رجاؤهم، فظلّوا لسنواتٍ طوال يدعون ويتضرّعون ولا يستبطئون الإجابة، حتى جاءت إرادة الله بفرجٍ فوق ما يتصور البشر، فخلّد الله دعاءهم وصبرهم ليبقى درسًا يتعلّمه كل مبتلى، بأن الأمل بالله لا يُغلق بابه، وأن من توكل عليه كفاه وأعطاه من فضله ما لم يكن في حسبانه.

المطلب الثالث ـ تجربتي مع العقم:

قد يظنّ بعضهم أن الأطباء وحدهم يملكون مفاتيح العلاج، لكن لله حكمة أعظم، ومفتاحٌ بيد كل إنسان: الدعاء الصادق. في هذه السطور أشارككم رحلتي مع العقم، وكيف وجدت الشفاء عند باب السماء، لا باب العيادات.

عشتُ سنواتٍ من الانتظار الموجع، بين أملٍ يتجدّد ودعاءٍ لا ينقطع. طرقتُ أبواب الأطباء أبحث عن سبب العقم وسبل علاجه، وكان جوابهم واضحًا: «الإنجاب لا يكون إلا بالحقن المجهري، وحتى هذا الطريق احتمالاته ضعيفة.»

تكرّرت محاولات الدخول إلى غرفة العمليات أكثر من عشر مرّات، لكن الله لم يُقدّر أن تكتمل أيٌّ منها، فكانت تتأجّل كل مرةٍ بأسبابٍ خارجة عن إرادتنا.

لم أفقد الأمل، فسافرتُ إلى مصر طلبًا للعلاج، لكن شاء الله أن أعود إلى ليبيا في اليوم نفسه دون أن أتمكّن من بدء أيّ إجراء. وهنا كانت نقطة التحوّل...

قرّرتُ أن أعلّق قلبي بالله وحده، وأن أستبدل المستشفيات بقيام الليل، والحقن بالدعاء، والرجاء الصادق. عقدتُ نيّتي على التضرّع بين يديه، وبدأتُ أنا وزوجي بصلاة جلب الذرية، صلاةٍ ذكرها الشيخ المغامسي على يوتيوب، نؤدّيها بخشوعٍ ودموع.[32]

وبعد شهر، زرتُ مكة المكرّمة، ووقفتُ أمام الكعبة أدعو الله من أعماق قلبي، وشربتُ

من ماء زمزم، ورفعتُ حاجتي لمن بيده كل شيء. وبعد عودتي من مكة، أكرمني الله بأعظم نعمة... الذريّة الصالحة.

وهكذا أدركتُ أن القرآن حين يوجّهنا إلى الدعاء والصبر والتوكّل، لا يوجّهنا نظريًّا فقط، بل يمنحنا طريق الشفاء والرحمة لمن أخلص وصدق.

وختاما أقـول: إلى كل من تأخّر عليه الفرج: لا تيأس. تعلّق بربّ الأسباب قبل الأسباب، وثق أن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

الخاتمة:

إنّ موضوع العقم كما عالجه القرآن الكريم، يُظهر لنا مدى رحمة الله تعالى بعباده وحرصه على هدايتهم في كل شؤون حياتهم، وخاصة ما يتعلق بالابتلاءات التي قد تواجههم مثل العقم. ومن خلال دراسة هذا الموضوع، توصلنا إلى أن القرآن الكريم لم يترك المعنيين بالعقم دون علاج، بل قدم لهم دواءً شاملاً يبدأ بالدعاء والاستعانة بالله، ويشمل الاستغفار والتوبة، مع العمل الصالح والتقرب إلى الله عز وجل.

النتائـــــــــج:

1. الدعاء والاستعانة بالله يمثلان الأساس المتين في علاج العقم، ووسيلة فعالة لرفع البلاء وكسب الرحمة.
2. نماذج الأنبياء في القرآن الكريم دليل حي على أن الصبر والثقة بالله تفتح أبواب الفرج حتى في أصعب الظروف.
3. الاستغفار والتوبة والعبادات الأخرى تزيد في أسباب الرزق وتمكن الإنسان من تجاوز الابتلاءات.
4. اليأس من رحمة الله مرفوض، فالله قادر على كل شيء، والابتلاء فرصة للارتقاء الروحي والتقرب إليه.

التوصيات:

على من يعاني من العقم أن يكثر من الدعاء والاســتغفار، مع المحافظة على الطاعات والعبادات التي تقربه إلى الله.

ضرورة تحري مواطن الإجابة في الدعاء، والإلحاح به بصدق وأمل.

تعزيز الجانب النفسـي للمؤمنين المصـابين بالعقم بالصـبر والرضـا واليقين بأن الفرج قريب.

نشر الوعي القرآني حول الابتلاءات المختلفة، لتشجيع الناس على الصبر وعدم اليأس.

دعم البحث العلمي والدراسات الطبية مع التوازن بين الأسباب الطبيعية والروحانية

في معالجة العقم.

وفي الختام، نسأل الله أن يوفق كل من ابتلي بالعقم للصبر والاحتساب، وأن يرزقهم الذرية الصالحة، وأن يجعل ما أصابهم تكفيرًا للذنوب ورفعًا في الدرجات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر والمراجـــــــــع :

القرآن الكريم

1-المصـــباح المنير في غريب الشـــرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي. تح: محمد عبد الســـلام عبد الغني، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط 3، 1422هـ - 2001م. ج1، ص 45.

2-المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة – مصر، ط1 ، 1400هـــ - 1980م،ج 1،ص 67.

3-لســـان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي. تح: عبد القادر الإرشـــادي، دار صـــادر – بيروت. ط1، 1404هـ - 1984م،ج2، ص 112.

4-المعجم الطبي الموحّد: ســـعدي أبو رجب، دار العلم للملايين – بيروت ،ط2 ، 1431هـــــ - 2010م،ج1، ص 78.

5- الموسوعة الطبية الحديثة: نخبة من الأطباء المتخصصين: دار المعرفة – بيروت. ط1، 1436هـ - 2015م،ج1، ص95.

6-جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري. تح: أحمد محمد شـاكر. : دار هجر – القاهرة،ط1، 1406هـ - 1986م،ج3، ص150.

7- ينظر: المرجع السابق،ج5، ص233.

8-تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تح: لجنة تحقيق ،دار طيبة–الرياض، ط3 ، 1420هـ - 2000م، ج2، ص88.

9-الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1419هـ - 1998م،ج4، ص120.

10- زاد المسـير في علم التفسـير: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تح: محمود محمد شـاكر، دار ابن الجوزي – الدمام،ط1، 1422هـ - 2001م،ج1، ص55.

11-التحرير والتنوير: محمد الطـاهر بن عـاشـــور، دار ســـحنون– تونس ،ط2، 1387هـــــ - 1967م،ج1، ص30.

12-ينظر: جامع البيان ، ج7، ص290.

13-ينظر: المرجع نفسه، ج10،ص412.

14-ينظر: المرجع نفسه، ج12، ص520.
15- ينظر: : تفسير القرآن العظيم ،ج5،ص226.
16- ينظر: زاد المسير ،ج2، ص102.
17-ينظر تفسير القرآن العظيم ،ج3، ص135.
18-ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص190.
19-الطب النفسي المعاصر: طارق الحبيب، مكتبة العبيكان – الرياض،ط1، 1431هـ - 2010م،ج1،ص75.
20- أساسيات الطب النفسي: عبد الستار إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة،ط4، 1433هـ - 2012م،ج1، ص85.
21-ينظر جامع البيان ،ج21، ص610.
22-ينظر: جامع البيان،ج17، ص700.
23-ينظر: المرجع نفسه،ج18، ص730.
24-الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية،تح: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، دار عالم الفوائد – مكة المكرمةط1، 1425هـ - 2004م ،ج1، ص55.
25- ينظر: جامع البيان، ج20، ص790.
26-ينظر: المرجع نفسه، ج21، ص820.
27-ينظر: المرجع نفسه، ج22، ص850.
28- ينظر: المرجع نفسه،ج23، ص880.
29- ينظر: زاد المسير ،ج3، ص125.
30-ينظر : تفسير القرآن العظيم ج2 ص29
31- ينظر: المرجع نفسه ج4 ص463
32- محاضرات الشيخ صالح بن عواد المغامسي منشورة عبر القناة الرسمية على موقع يوتيوب، آخر تحديث: 1445هـ - 2024م.

تاريخ الاستلام 15 / 6 / 2025م تاريخ القبول 28 / 6 / 2025م